

## مفهوم حجّ التائبات المؤمنات من نساء الطبقة الثرية في روما إلى الأراضي المقدسة من القرن الرابع إلى السادس الميلادي\*

هبة فاروق هارون<sup>1</sup>، سلامة صالح النعيمات<sup>2</sup>

<https://doi.org/10.54134/jjha.15.3.3>

### ملخص

تناولت هذه الدراسة مفهوماً دينياً مقدساً، هو "حجّ المؤمنات التائبات" في فترة المسيحية المبكرة ما بين القرنين: الرابع والسادس الميلاديين، بالتركيز على نساء روما الثريات اللواتي تأثرن بأقوال آباء الكنيسة، مثل القديس جيروم (Jerome)، فتخلين عن عالمهنّ، وحرّيتهنّ، وعائلتهنّ، وطبقاتهنّ الاجتماعية، ويغنّ ممتلكاتهنّ وتوجّهنّ نحو الأراضي المقدسة (أرض الإنجيل) من أجل زيارة الأماكن المقدسة، وريان الصحراء، وإنشاء الأديرة والمستشفيات، والمستوصفات الطبيّة واستراحات الحجاج، والملاجئ للمحتاجين، ودور رعاية الأيتام وكبار السنّ في أنحاء الأراضي المقدسة.

لقد كان حجّ الزاهدات الحدث الأبرز في تلك الفترة، وعلى الرغم من صعوبة الرحلة ومشقتها إلا أنّها تهدف إلى إشباع حاجات النفس الدنيّة والروحيّة. فكانت هؤلاء النساء مثلاً للإيمان والإخلاص والتقاء والتسامح والعطاء والتقوى والعبادة، على مرّ العصور، ونموذجاً تحتذيه نساء روما في ما بعد. وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدّمة وتعريف بمفهوم الحجّ في المسيحية ثمّ مفهوم حجّ الزاهدات المؤمنات، مع ضرب أمثلة على أعمالهنّ الدنيّة والاجتماعيّة في الأراضي المقدسة.

**الكلمات الدالة:** الحج المسيحي، النساء الزاهدات التائبات المؤمنات، الممارسات الدنيّة اليومية، المؤسسات الدنيّة والاجتماعيّة.

### المقدمة

"حيثما تُذكرُ المسيحيّة يُذكرُ المسيح، وحينما يُذكرُ المسيح تُذكرُ الأراضي المقدسة، فالأراضي المقدسة هي موضع الأحداث لميلاد وحياة وآلام وقيامه السيّد المسيح." (الأورشليمي 2010 ج:1: 11)

لم يكن الحجّ فرضاً على المسيحيّ، لكنّه طريقٌ نحو الرّبّ الذي ينتظر قدوم الحجاج المؤمنين للارتقاء بأنفسهم نحو

\* هذا بحث مستقل من أطروحة دكتوراه للطالبة هبة فاروق هارون في قسم التاريخ/ الجامعة الأردنية/ كلية الآداب، بإشراف الأستاذ الدكتور سلامة صالح النعيمات، الموسومة بـ "الحج المسيحي للأراضي المقدسة في العصر البيزنطي من القرن الرابع الميلادي إلى بدايات القرن السابع الميلادي".

1 قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

2 قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

تاريخ الاستلام: 2020/12/9، تاريخ القبول: 2021/2/14.

الأفضل وإشباع رغبتهم بالإيمان؛ بالبركة؛ بالمغفرة من الخطايا والآثام، فالحج بالنسبة لهم هو السفر الجسدي نحو هدفٍ روحيٍّ مقدس لتقريب المسافة بين الحاج وبين الله. " إن ما يطلبه يسوع هو الاستعداد الروحي لا الانقلاب المادي في الحياة) "ليكليير (1963: ص37).

إنه لشرفٌ عظيمٌ لكلِّ حاجٍ مسيحيٍّ مؤمنٍ أن يقوم برحلة الحج نحو الأراضي المقدسة ويشارك في الأعياد والطقوس الدينية، فالحاجُّ المؤمن هو الذي يسلم نفسه إلى الله، ويتحد مع روح المسيح -عليه السلام- بصلاته وعبادته في الكنائس والأديرة؛ إنها رحلةٌ روحانيةٌ قبل أن تكون مادية. وقد وصف البابا يوحنا بولس الثاني (John Paul II) الحج عندما جاء للاحتفال باليوبيل العظيم عام 1999م عند نهر الأردن قائلاً " إن الذهاب بروح الصلاة من مكان إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى في المنطقة المميزة بتدخل الله بشكل خاص يساعدنا ليس فقط على عيش حياتنا كرحلة ولكنه يمتحننا أيضًا إحساسًا حيويًا بالله الذي سبقنا وقادنا، الذي انطلق هو نفسه في طريق الإنسان، إله لا ينظر إلينا بازدراء من العلاء، بل أصبح رفيقنا في السفر"<sup>(3)</sup>.

إن الاتحاد مع روح المسيح أوضحها إنجيل يوحنا (1: 32-33) عندما شهد نزول الروح قائلاً: "رأيت الروح ينزل من السماء كأنه حمامة فيسكني، يُعمد في الروح القدس). "فروجي (1930: 313). وكان هذا وعد المسيح لحوارييه إذا غاب عنهم" فسيرسل إليهم روح الحق الذي سيقبلونه ويبقى معهم إلى الأبد". (الملوحي 2004: 85).

إنها الرغبة في رؤية كنوز المسيحية واقتفاء آثار المسيح والقديسين والشهداء. وبالرغم من صعوبة السفر إلى الأراضي المقدسة ومشقته فهو يُعدُّ رحلة العمر للحاج الذي جاء لزيارة القدس السماوية المرتبطة بروح المسيح، والقدس الأرضية المرتبطة بالمواقع والأماكن الدينية المقدسة. (King 2015: 3-4). فالكثير من الحجاج فضلوا البقاء في الأراضي المقدسة والدفن بالقرب من أضرحة الشهداء والقديسين على العودة إلى أوطانهم.

تهدف الدراسة إلى التعريف بمفهوم حجّ الزاهدات التائبات المؤمنات من نساء الطبقة الثرية في روما، الذي تناولته بعض المراجع القبطية، بخلاف المصادر والمراجع الأجنبية التي تناولته بالتفصيل، وبالتالي كان لا بد من تعريف القارئ بهذا النوع من الحج، لأنه انتشر على نطاق واسع ما بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين. لقد كان حجُّه حدث الأبرز والأهم في تلك الفترة، فهؤلاء المؤمنات التائبات أحدثن فرقاً كبيراً في حجَّهن إلى الأراضي المقدسة، لأنهن تخلين عن حياتهن الثرية ويغن ممتلكاتهن في روما ورحلن حاجاتٍ إلى أرض الإنجيل؛ إلى الأماكن والمواقع المقدسة، وارتبطت أسماؤهن ببناء العديد من الأديرة والكنائس، ومنازلٍ واستراحاتٍ الحجّ والرحالة، وملاجئ الأيتام ومراكز رعاية كبار السن والتكيات، والمستشفيات والمستوصفات لعلاج المرضى وإيواء النساء اللواتي لا مُعيلَ لهنَّ والمحتاجين والفقراء. إن سجلات الرحلة الخاصة بهؤلاء النساء ساعدت الباحثين في التعرف على حياتهن في الأراضي المقدسة، والقوانين التي وضعها لإدارة المؤسسات الدينية والاجتماعية التابعة لهن. (Williams 2015: 71-72).

اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي في عرض الموضوع، واشتملت على مقدمة وتعريف بمفهوم الحج في المسيحية

(3) Letter of the Supreme Pontiff, John Paul II, 1999, Concerning Pilgrimage to the Places linked to the History of Salvation, Libreria Editrice Vaticana, P. 8.

ثم مفهوم حجّ الزّاهدات التّائبات المؤمنات وأسماهنّ، ثم ممارساتهنّ الدينية، وأهمّ إنجازاتهنّ في الأراضي المقدّسة، واعتمدت على عددٍ من المصادر والمراجع الأجنبيّة، وبعض المراجع العربيّة ذات العلاقة بموضوعها.

### مفهوم الحجّ لغةً واصطلاحاً

الحجّ عبادةٌ قديمةٌ قدّم الحضارات، ومن الصّعب تحديدهُ أصوله؛ إنّه السّفَرُ إلى مكانٍ مقدّسٍ بهدف العبادة والتّوبة، وهي رحلةٌ يقصد فيها المؤمنون مكاناً مقدّساً دينياً مشهوراً للتخلّص من الخطايا والآثام وعلاج النّفس والروح. وقد عرّف (رانسيمان، ستيفن) (Runciman, Steven) الحجّ بقوله: "إنّ الرّغبة في الحجّ راسخةٌ في الجذور وفي الطّبيعة البشريّة، فوقوف المرء في نفس الموقع الذي وقف فيه من يُجلّم ذات مرّة، ومشاهدة الأماكن التي ولّدوا وكافحوا وماتوا فيها، يبعثُ في المرء شعوراً بالاتّصال الروحي بهم، وفي ذلك تعبيرٌ عمليٌّ عمّا يشعر به نحوهم من تبحيل، وإذا كان لعظماء رجال العالم مزاراتهم التي يقصد إليها المعجبون بهم من بعيد، فإنّ جماعات النّاس تُقبل في تلهّفٍ أكبر إلى تلك الأماكن التي يعتقدون أنّ الرّب أكسب الأرض قداسةً فيها). "رانسيمان 1998 ج1: 83). والحجّ في اللّغة: القصدُ إلى مُعظّم، وإنّ هذه الكلمة تُلفظُ بفتح الحاء (الحجّ) وكسرها (الحجّ)، لكنّ الفتح هو الأغلب. (الزبيدي 2005 ج3: 318)

والحجّ في الاصطلاح: "قصدُ مكانٍ مخصوصٍ لعملٍ مخصوصٍ في زمنٍ مخصوصٍ" (العارضى، -19: 2017؛ (زيارة الأماكن المقدّسة)، وفي الشّرع الإسلاميّ: "زيارة البيت الحرام" (البستاني مج6: 693)، وفي التّوراة: "زيارة مكانٍ مقدّس". (العلي 1981: 209).

لقد اختلف مفهوم الحجّ في المسيحيّة عنه في الإسلام؛ فمفهوم الحجّ في الإسلام نصّ عليه القرآن الكريم بأنّه فريضة على كلّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ: "وأتمّوا الحجّ والعمرة لله...)"<sup>(4)</sup>، و"الحجّ أشهرُ معلوماتٍ فمن فرض فيهنّ الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإنّ خير الرّاد التّقوى وانقوتوا يا أولي الألباب"<sup>(5)</sup>، أمّا في السّنة فكان الحجّ من أفضل الأعمال؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: "إيمانٌ بالله ورسوله". "قيل: ثمّ ماذا؟ قال: "ثمّ جهاد في سبيل الله". "قيل: ثمّ ماذا؟ قال: "ثمّ حجّ مبرور". (السيد (د.ت) مج 1: 626)

### مفهوم الحجّ المسيحيّ

مفهوم الحجّ في الدّيانة المسيحيّة مختلفٌ عنه في الإسلام، فهو ليس من أساسيات الدّين المسيحيّ، ولم يكن من عبادات العقيدة النّصرانيّة، ولم تُشرّ إليه الأناجيل الأربعة، (الباش 2013 ج2: 183)، لكنّ اهتمام المسيحيين بالأراضي المقدّسة وارتباطهم بها تاريخياً وروحانياً جعل للحجّ أهميّةً كبرى لديهم، ولا سيّما أنّهم يحجّون على خطّ السيّد المسيح عليه السّلام؛ يحجّون إلى الأماكن التي ولّد وعاش وُضِلب فيها، فالحجّ تحفيزٌ للمسيحيين لزيارة فلسطين والأراضي المقدّسة التي شهدت بزوغ فجر المسيحيّة الأولى. (Macdonald 1989:11)

(4) سورة البقرة، 196

(5) سورة البقرة، 197

ويُعرّف القمّص أبو الخير، عبد المسيح<sup>(6)</sup>، الحج في المسيحية، فيقول: "الحجّ في مفهومه يختلف بين الإسلام والمسيحية؛ ففي الإسلام يُعدّ ركناً من أركان الإسلام الخمسة، أما في المسيحية فلا يُعتبر إلزامياً ولا فرضاً على المسيحي، ولا علاقة له بخلص الأفراد روحياً"، وأضاف: "لا طقوس خاصة بالحجّ في المسيحية، إلا أنّ المسيحيين من شتى بقاع العالم اعتادوا الحجّ إلى القدس أثناء الصّوم الأربعيني لتنتهي رحلة الحجّ برؤية النور المقدّس المنبثق من قبر السيّد المسيح كنوعٍ من أنواع التبرّك" (عادل 2018: 1-2). فالنور المقدّس عند المسيحي هو رمز روحاني ديني، إنه الإيمان بما قاله المسيح "أنا نور العالم، من يتبعني لا يمسي في الظلام لكن يكون له نور الحياة" (الدومني 1928: 225)، (فروجي 1930، إنجيل يوحنا 8: 12، 354)" أيها المسيح إن قبرك الذي هو ينبوع قيامتنا قد ظهر بالحقيقة حاملاً الحياة، وهو أبهى من الفردوس وأجمل من كل خدر ملوكي". (بطريكية الروم الأورشليمية 2006).

ويفسر أسعد كامل، مينا<sup>(7)</sup> كلمة الحجّ "بأنها مكونة من مقطعين (حا) وتعني (هيا) و(أج) اختصار (أجيوس) وتعني المقدّس أو القدوس أي "هيا إلى المكان المقدّس" ويشدد على أن الحجّ في المسيحية ليس فريضة واجبة التحقيق لأن الحجّ يرتكز على مفهوم التبرّك بزيارة الأماكن المقدّسة التي عاش فيها المسيح والقديسين من بعده، و"أن الصلوات القبطية الأرثوذكسية المسماة (القداس) تؤمن بوجود المسيح وجوداً حقيقياً أثناء إقامته، ويتعامل معه المؤمنون بالصلاة والتناول؛ لذا فهي أقدس بالتأكيد من زيارة المكان". (عادل 2018: 1-2).

ويذكر ويلكنسون، جون (John Wilkinson) في كتابه "حجاج القدس قبل الحملات الصليبية (Jerusalem Pilgrims Before the Crusades) أن كلمة الحجّ (Pilgrimage) مشتقة من الكلمة اللاتينية (Peregrinatio)، وتعني المسافر بعيداً عن وطنه (Wilkinson 1977: 33)، إلا أنه يؤكد عدم وجود كلمة باللاتينية أو اليونانية تُعرف معنى الحجّ بوضوح، فالكلمة أو المصطلح عنده يندرج تحت تعريف (الذهاب إلى الصلاة). (Go to Pray) (Wilkinson 1977: 33) أما في ما يتعلق بالحجاج المسيحيين) فالمفهوم مختلف؛ فالحجّ هو تحدي الصعاب للوصول إلى الأراضي المقدّسة والصلاة فيها. (Chareyron 2005: vii).

أما ماسترز، بيتر (Masters, Peter) فيقول: "لنكون مسيحيان يجب أن تكون حاجاً مسافراً حول العالم"، ويضيف: "كلّ هؤلاء ماتوا في الإيمان دون تلقّي الوعود، ولكن بعد أن رأوها ورحبوا بها من بعيد؛ اعترفوا بأنهم غرباء وحجاج على الأرض" (Masters and Peter 2014: 1).

وفي رسالته الرسولية ذات الرّم (14) الخاصة بيوبيل الرّحمة الإلهية، عرّف البابا فرنسيس، (Francis, 2013) الحجّ المسيحيّ قائلاً: "إنّ الحجّ هو علامة مميزة للسنة المقدّسة، لأنه رمز المسيرة التي يجتازها كلّ شخص في وجوده من خلال عبور الباب المقدّس. نترك رحمة الله تعانقنا ونتعهد بأن نكون رحماء مع الآخرين، كما أنّ الأب رحوم معنا". (رزق 2018: 2، فرنسيس 2015: 14).

وقال البابا (فرنسيس) أيضاً في أثناء استقباله في مدينة (الفاتيكان) (Citta del Vaticano) في قاعة (بولس السادس) (Paul VI) ما يزيد على ثلاثة آلاف حاجٍ يشاركون في السنة اليوبيلية للغفران: "إنّ الحجّ ليس عطلة، وسيكون من الخطأ الاعتقاد بأن أولئك الذين يذهبون إلى الحجّ لزيارة الأضرحة المقدّسة يعيشون روحانية شخصية، بل هي جماهيرية، فالحاجّ يحمل معه وفي داخله وأثناء رحلته تاريخاً وإيماناً خاصاً به، وظلالاً مضيئة من حياته، ويحمل

(6) أستاذ علم اللاهوت، راعي كنيسة السيّد العذراء -عليها السلام- للأقباط (الأرثوذكس) في مصر.

(7) مينا أسعد كامل هو باحث في لجنة العقيدة القبطية الأرثوذكسية بأسقفية الشباب، القاهرة.

في قلبه أمنياته وصلاته الخاصة. وعندما يدخل الحاجّ الصّريح بعد عناءٍ وسفرٍ طويل يشعر بالأمان والسّلام، مُرَحَّبًا به، وكأنّه في منزله، فالصّريح هو بيتُ المغفرة، والكهنَةُ هم خدّامٌ لمغفرة الله، يرحّبون بالجميع الباحثين عن الله في قلوبهم، التّوّابين عن خطاياهم، وعلى الكهنَة أن يكونوا رحماءً بالنّاس، وأن يكون موقفهم هو موقف الأب الرّحيم للكّل دون استثناء" (Paul 2016: Archive 02).

وتعرّف الكنيسة الكاثوليكيّة الحجّ بأنّه: "ملخّصٌ لحياة دنيويّة، فهو رحلتنا الأرضيّة نحو السّماء، إنّه مناسبة خاصّة للتّجديد في صلاة الحاجّ من خلال زيارة الأضرحة المقدّسة" (Willey 2008, 1674).

إنّ الحجّ المسيحيّ هو تبنيّ خطّ سير السيّد المسيح من أجل التّطهّر من الذّنوب والخطايا والاستعداد لملاقاة الرّب. إنّه السيّر على خُطى الأنبياء والقديسين والتّشّير بالدين الجديد والتّخلّص من الوثنيّة. وبالرّغم من الصّعوبات التي واجهت الحجاج منذ القرون الأولى في حجّهم من المشقّة والمرض وبُعد المسافة، إلّا أنّ نفوسهم كانت مطمئنّة بأنّ الله سيغفر لهم خطاياهم. وهذا ما أكده البابا (فرانسيس) في رسالته الرّسوليّة عندما قال: "الحجّ في النّهاية هو تبنيّ رسالة يسوع على خطاه من أجل تحقيق ملكوت الله (لا تخافوا)؛ (أنا معكم، السّلام عليكم)، فهكذا يحلّم المؤمن والمؤمنون الرّحمة سيّر خلاصنا". (رزق 2018: 5، فرانسيس 2015: 2).

#### مفهوم حجّ المؤمنات الزّاهدات التّائبات (Ascetic Pilgrimages)

"لم يذكر التّاريخ في العصور القديمة والوسطى من الفترة المسيحيّة عن نساءٍ امتلكنّ القوّة والرّغبة في السّفر مثل هؤلاء المؤمنات المتديّيات الزّاهدات" (Dietz 2015: 152).

بسبب تصاعد الرّهنية<sup>(8)</sup>. (معلوف 2010: 806)، والتّسك<sup>(9)</sup> (الحمد 2004: 45، هويت 2017: 31-32). في الغرب خلال القرون الأولى الميلاديّة، زادت حركات الحجّ بين رجال الدين والنساء الزّاهدات في منتصف القرن الثّالث الميلاديّ، فتوجّهوا إلى فلسطين ومصر وسوريّا من أجل زيارة الأماكن المقدّسة الدّينيّة هناك، إضافةً إلى زيارة الرّهبان في صحراء سيناء، الذين لجأوا إليها هربًا من اضطهاد الإمبراطوريّة الرّومانيّة، حيث عاشوا حياة التّقشّف والزّهّد من أجل التّقرب إلى الله. (هويت 2017: 269-305).

وبينما كان الحجاج يذهبون في رحلة الحجّ إلى الأراضي المقدّسة على امتداد العصور الوسطى التي تبدأ من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الميلاديّين، كانت رحلات حجّ الزّاهدات من بلاد الغال إلى الأراضي المقدّسة في تراجع واضح، فلم تُسجّل السجّلات أيّ رحلة لهنّ ما بين القرن الخامس وبداية القرن السابع الميلاديّين، وسبب ذلك تسلّط الكنيسة على مجتمع الزّاهدات من النساء في ذلك العهد (Williams 2015: 47)، فقد جاء في كتاب "قانون

(8) أصل الكلمة (زهب) زهبة وزهبا وزهبا وزهبانا، بمعنى: خاف. وتزهب: صار راهبًا وتعبد. و(زهبان) من اعتزل النّاس إلى دير طلبًا للعبادة. والرّهنية: اسمٌ من معنى راهب، أي اتّخذ طريقة الرّهبان والرّهبانيّة. والرّهبانيّة هي طريقة الرّهبان.

(9) التّسك هو العبادة، والتّسك العابد، وتّسك أيّ تعبد، والتّسك هو المترهّد العابد لأنّه خلّص نفسه وصفاها لله تعالى من دنس الآثام، والتّسك هو الذي يعتزل النّاس إلى الدّير فيصبح راهبًا.

العذارى" (10) (King 2015: 14). Rule For Virigins), (Regula Virginum)) (King 2015: 14) لأسقف مدينة أرييس (Arles) (أرال) الفرنسيّة قيصاريوس (Caesarius of Arles, 542-470 A.D) (11)، (Wace 1999: 230-232)، الذي كتبه للنساء الرّاهبات والعذارى خاصّةً: "أنتنّ جواهر الكنيسة القادرات على تكريس أنفسكنّ لحياة التقوى؛ لقد أثر هذا القانون على قوانين الرّهينة والكنيسة في القرنين الخامس والسادس الميلاديّين، فقد كان الأسقف (قيصاريوس) يُطالب باحتواء هؤلاء الرّاهبات وتشديد الرّقابة عليهنّ، ونتيجةً لهذا القانون مُنِع الكثير من الرّهبان والرّاهبات من السّفر إلى الأراضي المقدّسة خوفاً من لقاء المسيحيّين الغربيّين المنشقّين عن تعاليم الكنيسة الشّرقية. (Cohick 2017: 132).

لكن لم تُطبّق هذه القوانين في المقابل على التّائبات المتديّبات من النساء اللّواتي جُنُن من الطّبقة الأرستقراطيّة الغنيّة في روما مُعتزلات الحياة الصّاخبة فيها من أجل التّشكّف والرّهد والسّير على خطا السيّد المسيح عليه السّلام والقديسين؛ حيث كانتنّ لهنّ حرّيّة التّنقل في كلّ مكان. هؤلاء النساء بما يملكنّ من ثراءٍ فاحشٍ ذاع صيتهنّ في الأراضي المقدّسة حيث كان لهنّ دورٌ مهمٌّ وتأثيرٌ قويٌّ في مجتمعات الغرب، وخصوصاً مجتمع النّبيلات في روما، دينياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. (Williams 2015: 48).

فالحالة الاجتماعيّة لهؤلاء النساء اللّاتي سافرنّ للحجّ في الفترة المسيحيّة المبكّرة كانت: إما عذراوات مثل (ايستوشيم / Eustochium) (12)، (Wace 1999: 560-561) أو أرامل ثريّات مثل الإمبراطورة (هيلينا/ Helena) (13) (Wace 1999: 702-707) و (باولا/ Paula) (14) (Clark 1986: 175-176, Wace 1999: 1280-1287) و (ميلانيا

(10) قانون العذارى، كتبه الأسقف (قيصاريوس) ردّاً على النظرة التّقليديّة للمرأة في تلك الفترة التي تراها للجنس والعائلة فقط، فقد أراد من هذا القانون حماية النساء من الاعتداء الجنسيّ داخل الأديرة تحت مُسمّى "الأمّ" و"الأب". "هو أراد حماية سفينة نوح من العالم الخارجيّ".

(11) قيصاريوس (470-542م)، هو أسقف مدينة أرييس (Arles) الفرنسيّة، ولد في مدينة شالون (Chalons) شرق فرنسا لأبوين قديسين، عندما كان في سن الثالثة عشرة توجه بنفسه إلى أحد الأديرة في مدينة ليرنز (Lerins) الفرنسيّة حيث درس العلوم هناك وأصبح بارعاً فيها. بالإضافة إلى اهتمامه بالقراءة، والدراسة وتنظيم الحياة المسيحيّة. بسبب تقشفه وزهده أصيب بالهزال والضعف، فتوجه إلى مدينة أرييس التي أصبح أسقفًا لكنيستها وهو في سن الثالثة والثلاثين من عمره، عرف عنه تواضعه وإخلاصه واهتمامه بالفقراء والمساكين.

(12) (ايستوشيم 417-370 م) وُلِدَتْ في روما عام 370م، الابنة الثّالثة للحاجّة (باولا)، شاركت والدتها حياة الرّهد وهي صغيرة، وكانت تلميذة القديس (جيروم) المتفوّقة، تعلّمت اللّغة اليونانيّة واللاتينيّة والعبريّة لإنشاد المزامير مثل والدتها، وقد أخذت مكان والدتها في إدارة دير الرّاهبات في بيت لحم بعد وفاتها. تُوفّيَتْ عام 417م.

(13) الإمبراطورة هيلينا (250-330م)، والدّة الإمبراطور (قسطنطين العظيم Constantine the Great)، اعتنقت المسيحيّة في أواخر عام 318م، وحصلت على لقب "القديسة"، هي زوجة الإمبراطور (قسطنطيوس كلوروس Constantius Chlorus) (250-306م). وهي أول سيّدة بنت مركزٍ رعاية لكبار السنّ في القسطنطينيّة. حجّت إلى فلسطين حوالي 325م، وقد ارتبط اسمها بعثورها على موقع الجلجثة المكان الذي وُجِدَتْ فيه آثارُ صلب المسيح.

(14) باولا (347-404م)، سيّدة نبيلة تنتمي إلى أسرةٍ من أبرز الأسر الأرستقراطيّة الرّومانيّة، تلقّت التّعليم المسيحيّ والكلاسيكيّ بعد وفاة زوجها الذي أنجب منه أربع بنات، انضمت إلى مجموعة من السيّدات الأرستقراطيّات اللّواتي اخترنّ حياة الرّهد والتّشكّف وكترسن أنفسهنّ لدراسة الكتاب المقدّس تحت إشراف القديس (جيروم)، درست العبريّة مثل أستاذها. في عام 385م

الكبرى (Melania the Elder)<sup>(15)</sup>، (Wace 1999: 1141-1142) أو متزوجات جئن مع أزواجهن إلى القدس والأراضي المقدسة مثل (ميلانيا الصغرى) (Melania the Younger)<sup>(16)</sup> (كلارك) د.ت: 179 (Dietz 2015: .) (3-4) التي جاءت مع زوجها (بينن / Pinian)؛ لقد نذرْنَ أنفسهنَّ لخدمة المسيح والمسيحية وأتباعه من القديسين والزهبان والزاهبات؛ إنها رحلة تلبّي احتياجاتهن الروحانية قبل المادية؛ إنها معجزة الحج بالنسبة لعائلاتهن عند العودة لبلادهن لأنهن يحملن بركة المسيح وآثار القديسين في شفاء المرضى وتخليصهم من الآلام. (King 2015: 3-4) لقد كان سفرهن مباركاً من العائلة والكنيسة، (Graig 2009: 14-20) مع العلم أنه في القرنين الأول والثاني الميلاديين كانت التقاليد تحتم على الفتاة: إما الزواج وتكوين عائلة، وإما الالتحاق بأحد الأديرة لتصبح راهبة، وكلاهما في ذلك العهد يُعدُّ شرفاً دينياً واجتماعياً لها ولعائلتها أيضاً. (Hallett 2012: 373-374).

لكن تغيّر الحال في مطلع القرن الرابع الميلادي بعد الاعتراف بالمسيحية، فبدأت حركة الحج المسيحي تأخذ منعطفاً جديداً مع زيارة الإمبراطورة (هيلينا) ما بين عامي (325-326م) إلى القدس، حيث ازدادت حركة الحج إلى الأماكن المقدسة مع توافد الحجاج المسيحيين من أوروبا الذين يسبرون على أثر الإمبراطورة (هيلينا) بعد أن حدّدت لهم الأماكن المقدسة التي نصَّ عليها الإنجيل. (سعيد 2007 ج: 1: 86) لقد مثلت حالة فريدة وتجربة نادرة في التدين، فالحج بالنسبة لهن كان بداية حياة جديدة؛ إنه العصر الذهبي لهن، إنه حجّ الزاهدات التائبات المؤمنات، (Williams 2015: 34) وظهر ذلك من خلال السجلات الخاصة برحلة النساء

قسمت ممتلكاتها بين الورثة وسافرت إلى الشرق، فزارت كهوف الزهبان في مصر والأراضي المقدسة والأماكن الدينية. استغرقت رحلتها قرابة العام، ثم استقرت بعدها في بيت لحم مع (جبروم) وابنتها (استوشيم). تُوفيت في سن السابعة والخمسين عام 404م بسبب تعرضها لأمراض عدة، وقد حضر جنازتها العديداً من الأساقفة والزهبان.

(15) ميلانيا الكبرى (410-350م)، وُلدت في إسبانيا، ذات أصول رومانية، تزوجت في سن الثانية والعشرين من أحد النبلاء، تُوفّي زوجها وهي ما تزال في مقتبل العمر. باعت ممتلكاتها واستبدلت بها عملات ذهبية وأبحرت إلى الإسكندرية مع مجموعة من النساء المتديّبات، وهناك التقّت مع رهبان الصحراء في جنوب الإسكندرية وعاشت معهم حوالي ستة أشهر، ثم توجهت بصحبة القديس (روفينوس) \* إلى القدس. أنظر :

(\* القديس روفينوس (344-410م) (Rufinus)، وُلد في إيطاليا عام 344م، سافر إلى الشرق سنة 371م، وزار مصر ومكث فيها ست سنوات، ثم توجه في عام 397م إلى القدس. ترجم العديد من كُتب اللاهوت اليونانية إلى اللاتينية؛ مثل كتاب "المعارف" للقديس إكلمندس (كليمان الإسكندري) (150-215م) (Clement of Alexandria)، وبعض كُتب القديس (باسيليوس) (330-379م) (Basil of Caesarea)، وكتاب التاريخ الكنسي لـ (يوسابيوس القيصري) (265-339م) (Eusebius of Caesarea). من أشهر كتبه كتاب (تاريخ الرهبنة في مصر). أنظر: الأورشليمي، بسطس (2010م)، المسيحية في الأراضي المقدسة الخمسة قرون الأولى ج 1 204-203.

(16) ميلانيا الصغرى (383-439م)، سيّدة أرسطراطية، من أكثر النساء ثراءً في روما، حفيذة ميلانيا الكبرى، تزوجت وهي صغيرة، وقد تُوفّي طفلها وهربت مع زوجها الذي عاهاها على حياة العفة والبتولية في أوائل القرن الخامس الميلادي خوفاً من غزو القوط. استقرت في البداية في مدينة (طاغست) الجزائرية. رحلت مع زوجها إلى القدس، وأنفقت الكثير من الأموال على الكنائس والأديرة وبيوت إيواء الفقراء والمحتاجين، إضافةً إلى تحريرها الكثير من العبيد الذين رافقوها في حياة التنقل والعزوبة، قالت لزوجها يوماً: "إذا اخترت طريق البتولية معي فسوف أعترف بك حاكماً وسيّداً لحياتي، أما إذا كان ذلك صعباً عليك لأنك ما زلت شاباً فيمكنك أن تأخذ ما أملكه ولكن دغ جسدي حرّاً طليقاً حتى أتم اشتياقي لله".

الزّاهدات، التي ساعدت الباحثين في التّعريف على حياتهنّ قبل الحجّ وبعده، خصوصًا ما بين القرنين الرّابع والسّادس الميلاديين، ودور القديس (جيروم / Jerome)<sup>(17)</sup> (جورج 1993: 30-35) في التّأثير المباشر عليهنّ من خلال دروسه ومواعظه في روما والأراضي المقدّسة فيما بعد. (Glover 1901: 127-129).

ومع بداية القرن السّادس الميلاديّ حدثت تغيّرات اجتماعيّة وسياسيّة واقتصاديّة ودينيّة وثقافيّة بسبب هجمات البربر وقيام مملكتهم في أوروبا؛ مما أدى إلى ضعف الإمبراطورية الرومانية وتراجع قوتها وهو ما أثر كثيرًا على سجّلات الحجّ الخاصّة بهؤلاء السيّدات، فترجع السّفر إلى الأراضي المقدّسة خوفًا من مخاطر الرّحلة، فضلّ أكثرهنّ البقاء في منازلهنّ والاعتزال أو الانضمام إلى المجتمعات الدّينيّة، ومنها الكنائس والأديرة التي ازداد بناؤها في ذلك العهد؛ الأمر الذي أبعّد يد الكنيسة وقوانينها عن التّحكّم بنمط حياة هؤلاء النّساء اللّواتي مارسنّ حياة العبادة الخاصّة بهنّ مثل الصّوم والصّلاة وقراءة الكتاب المقدّس اقتداءً بنمط الحياة الدّينيّة السّابقة للمتديّبات الزّاهدات في الشّرق. (Williams 2015: 44-45).

ارتبط اسم هؤلاء النّساء في المسيحيّة المبكّرة بالأماكن المقدّسة لبناء العديد من المؤسّسات الدّينيّة؛ مثل: الأديرة، وصومعات الرّهبان، ومنازل إيواء الحجاج والمستضعفات من النّساء، ومراكز رعاية كبار السنّ والأيتام، (Williams 2015: 51) والمستشفيات والمستوصفات لعلاج المحتاجين من الفقراء والغرباء وتقديم المساعدات الماديّة لهم (Anderson, 2012: 7-8)؛ بدأتها الإمبراطورة (هيلينا) عندما رحلت إلى الأراضي المقدّسة وهي في الثّمانين من عمرها في عام (327م)؛ حيث وصلت إلى سوريا ومنها إلى القدس، لرؤية الكنائس التي أمر ببنائها الإمبراطور (قسطنطين العظيم) (337-272م) (Constantine the Great)؛ (أثناسيوس 2000، ج 1: 23)، والصّلاة من أجله. (Cohick 2017: 111). يصفّ (يوسابيوس القيصريّ) (Eusebius of Caesarea) (جورج 1993: 29 Hunt 265-339) (Janin 2002: 61، 6-7، 1984م)<sup>(18)</sup> (رحلة هيلينا) بأنّها أخذت "الطّابع الإمبراطوريّ"؛ لقد سافرت من أجل: "الصّلاة، وزيارة المقاطعة الشّرقية، والمدن، والنّاس. وباهتمام إمبراطوريّ كانت تتادي بالحرّيّة، ووزعت الهدايا

(17) القديس (جيروم 331) أو (342 - 420)، وُلد في مدينة (ستريدون / Stridonia) بالقرب من (أكويليا / Aquileia) الإيطاليّة. اختلفت الآراء حول تاريخ مولده؛ فذكر بعضهم عام (331م)، وذكر آخرون عام (342م)، كان يُعدّ من أهمّ آباء الكنيسة تعليمًا وثقافة، برع في النّحو والبلاغة في روما، وتعلّم العبريّة على يد خبّر يهوديّ، وعندما رحل إلى القسطنطينيّة درس اللّغة اليونانيّة وترجم الإنجيل ومجموعة من الوثائق القبطيّة. رحل إلى فلسطين عام (372 أو 374م) وعاش بين الرّهبان والمتنسّكين، وكان له تأثير كبير بفضل فصاحته وبلاغته في أتباعه من الرّجال والنّساء. استقرّ في بيت لحم بصحبة (باولا) وابنتها (استوشيم)، توفي عام (420م). تُعدّ وثائقه ذات قيمة تاريخيّة كبيرة ومصدرًا من مصادر التّاريخ الكنسيّ. من أشهر مؤلفاته كتاب (مشاهير الرّجال) (De viris Illustribus).

(18) يوسابيوس (265-340م)، هو أسقف مدينة قيصرية ومؤرخ الكنيسة والباحث اللاهوتي، تعلم على يد القديس أوريغانوس (Origen)، كان يمدح الإمبراطور قسطنطين باستمرار ويعتبره "مخلص البشري" كان بارعا في علم الكلام وخاصة في ما يتعلق بالنزاعات الكنسية الدّينية، له مؤلفات عدة أشهرها كتاب (التاريخ الكنسي) (Historia Ecclesiastica)) تحدث فيه عن نشأة الكنيسة إلى عام 324م، والكتاب الآخر بعنوان (شهداء فلسطين) (De martyribus Palaestina) والذي استمر في كتابته من عام 303م إلى 311م، دون فيه استشهاد المسيحيين في فلسطين لكونه شاهد عيان على الأحداث في تلك الفترة.

أما أشهر مؤلفاته هو كتاب (حياة قسطنطين) (Vita Constantine) يتحدث فيه عن حياة قسطنطين وسياسته الدّينية وعن التّغيير الدّيني في روما والانتقال من الوثنيّة إلى المسيحيّة، يقسم الكتاب إلى أربعة أقسام يصف فيه قسطنطين بأنه صورة لحكم الله.

والأموال، وأوت المشردين والفقراء والمحرومين، وأطلقت سراح السجناء، وحزرت الأسرى (Eusebius: 295 (1999)).

تعود شهرة الإمبراطورة القديسة (هيلينا) والدة الإمبراطور (قسطنطين العظيم) لاعتناقها المسيحية مع ابنها الإمبراطور واكتشافها موقع الصليب الحقيقي الذي صلب عليه السيد المسيح أسفل معبد الإلهة أفروديت (Aphrodite) في موقع الجلجثة (الجلجله) في القدس فأمرت بهدم المعبد وأقامت فوقه كنيسة القيامة ولقد أرسلت جزءاً من الصليب لابنها الإمبراطور مع المسامير المقدسة التي استخدمها لخرقة خوذته العسكرية ولجام حصانه (Cohick 2017: 110-112)، وكان لها الكثير من التابعين في الشرق والغرب، وهي التي دعمت وباركت أعمال ابنها الإمبراطور؛ " (Bralewski 2017: 35) إنها رمز المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية (Brubaker 1979: 52)."

كانت رحلتها ملكيةً بامتيازٍ بمباركةٍ من أسقف القدس (ماكيوس، ت335م، Macarius, Bishop of Jerusalem) فقد استفادت منها المدن التي زارتها بعبائها وكرمها، وكذا الجنود المرافقون لها، إضافةً إلى إعطائها صبغة دينية مسيحية بتعيين نفسها خادمة لخدّام المسيح (Hunt, 1984: 44)، عندما قامت بخدمة العذارى اللواتي غسلن أقدام السيد المسيح وتقديم الطعام والشراب لهنّ والماء لغسل أيديهنّ. (Hunt 1984: 28, 49).

ويذكر الأسقف (يوسابيوس القيصري) أنّ التقية (القديسة) هيلينا قامت بترميم مكان ولادة السيد المسيح عليه السلام ليصبح مزاراً للحجاج، إضافةً إلى إعادة زخرفة مغارة الروح القدس. (Rufinus 1997: 18) وقد شيدت (هيلينا) عددًا من الكنائس في فلسطين بأمرٍ من الإمبراطور (قسطنطين)؛ مثل كنيسة القبر المقدس، وكنيسة المهد في بيت لحم، وكنيسة جبل الزيتون، وقد أولاه الإمبراطور عنايةً خاصةً، بعد وفاتها إحياءً لذكراها. (Wilkinson 1981: 46).

لقد كانت (هيلينا) الإمبراطورة القديسة مدفوعة برغبة شخصية للحجّ إلى الأراضي المقدسة لتقديم الشكر والطاعة إلى الربّ باسم ابنها وأحفادها، ولكونها قديسةً أيضًا قبل أن تكون إمبراطورة. إنّ رحلتها إلى الأراضي المقدسة واكتشافها الصليب قد ساهم في انتشار المسيحية وتوطيد دعائم إمبراطورية ابنها (قسطنطين) وأبنائه من بعده. (Bralewski 2017: 32) وأصبحت نموذجًا للعديد من الإمبراطورات اللواتي اتبعن خطاها وحججن إلى الأراضي المقدسة؛ مثل الإمبراطورة (يودوكيا). (Eudocia) لقد أعادت الإمبراطورة (هيلينا) اكتشاف القدس مرّة أخرى. (Brubaker 1997: 52-75).

#### الممارسات الدينية اليومية لهؤلاء المتدينات

أما عن ممارسات هؤلاء المتدينات الزاهدات الدينية اليومية أثناء وجودهنّ في الأراضي المقدسة، فكانت عبارة عن اتباع نظام غذائي صارم وقاسٍ يتمثل في تناول القليل من الخبز والبقوليات والخضراوات، والابتعاد عن تناول اللحوم وشرب الكحول. فالصوم كان أهمّ طقوسهنّ الدينية، ومن أجل الشعور بالإيمان والتشّرف وكبح رغبات الجسد وغرائزه كنّ يرتدين ملابس من الخيش ويعتكنّ طويلًا في صومعاتهنّ أو غرفهنّ الصغيرة في داخل الدّير (Williams 2015: 59-60)؛ مثل ما حدث مع (ميلانيا الصغرى) عندما اعتكفت داخل غرفتها الصغيرة في مدينة (طاغست) الجزائرية لمدة (7 سنوات)، (Gerontius 1984: 22-32) وعندما وصلت إلى القدس عام (417م) أقامت أيضًا في غرفة صغيرة لا تكاد تتسع لجسدها لمدة (14) عامًا، وكانت تشعر بالفخر والاعتزاز بنفسها لأنها تفوّقت بإيمانها وزهداها على الكثيرين من الرجال والنساء (Gerontius 1984: 62-64).

إنها رحلة زهدٍ وتشفّ لا رحلة راحةٍ وترفيه، وكما فعلت (ميلانيا الصغرى) بممارساتها الدينية سبقتها جدتها (ميلانيا

الكبرى) عندما رفضت السّفَر بالعربة أو النّوم على السّرير أو حتّى الاغتسال،" وكانت غرفتها شبيهةً بالقبر " (Palladius 1965: 123, 134).

أما الحاجّة (باولا)، فكان سلوكها قريباً من سلوك هاتين السيّدتين؛ لقد رفضت ركوب الحمار في أثناء سفرها إلى الأراضي المقدّسة، وكانت ترغب أن تسافر دون مرافق، وفضّلت الإقامة في صومعة صغيرة المساحة عوضاً عن الاستراحة في منزل مريح، وفي أثناء إقامتها في بيت لحم كانت تأكل القليل من الطعام، ولم تستحّ لمُدّة طويلة، وكان جسدها هزيلاً ضعيفاً، وقطعت على نفسها عهداً ألا تتزوَّج أبداً (Jerome, 2013: 404, 602).

وانطبق الحال على الحاجّة (فابيولا/Fabiola)<sup>(19)</sup> (Wace 1999: 480-581, Jerome 1933: EP 77, 327) والأرملة التي مدحها القديس (جيروم) بأنّها " نسيّت أنوثتها كامرأة، وكانت ذات بُنيةٍ جسديّةٍ ضعيفةٍ وهشّةٍ للغاية ". (Williams 2015: 32)

ومن أمثلة الزّهّد والتّقشّف والتّواضع أيضًا في القرن السّادس الميلاديّ، الملكة (ريدجوند/Radegund)<sup>(20)</sup> (Wace 1999: 1393) التي اشتهرت قديسةً زاهدةً مؤمنةً لديها القدرة على شفاء المرضى... تخلّت عن لقبها ومجوهراتها وتبرعت بملابسها لإعمار الكنائس في الغرب؛ لقد كانت سيّدةً متفكّمةً متعلّمةً تكتب الأشعار، سافرت في أنحاء بلاد الغال للتعرّف على قوانين الزّهنة الخاصّة بالأسقف (قيساريوس) وتطبيقها في الدير التّابع لها في مدينة (بواتيه) (Poitiers) الفرنسيّة. (Baudonivia 1992: 13-14, 16-17) وكانت أهمّ ممارساتها الدّينيّة في الدير تنظيف أحذية الزّاهبات التّابعات لها، ومسح أرضيّة الدير، ونفض الأتربة والغبار، والطبخ، وغسل أواني الزّاهبات، وإبقاء الحطب للتدفئة، (Fortunatus 1992: 23) ومن ذلك أيضًا تبرّعها بثيابها للكنيسة، وزيارة القديسين، وارتداء قميص الشّعر أو الخيش في صوم الأربعين يومًا، إضافةً إلى بنائها منازل لإيواء النّساء المعذّبات والمحتاجات، حيث كانت تحيك الملابس لهنّ، وتوفّر لهنّ أيضًا أسرّةً نظيفةً للنوم. (Anderson 2012: 50).

فضّلت (ريدجوند) البقاء في (بواتيه) على الدّهاب في رحلة الحجّ إلى الأراضي المقدّسة، رغم معرفتها بحجّ من سبّقها من المؤمنات الزّاهدات. (ريدجوند) نموذجٌ فريدٌ من النّساء اللّواتي يملكنّ المال والاستقلاليّة، وقد أفادت من هذين الأمرين في إدارة مجتمع الزّاهبات الذي فضّلت البقاء والاعتزال فيه فيما بعد. (Williams 2015: 76, King 2015: 15) وقد اشتهرت بقدرتها على شفاء المرضى، خصوصًا مرضى الجدّام، إن هذه القدرة على الشفاء جاءت من إيمانها القوي بالمسيح وحبها له، إن روح المسيح معها منذ ولادتها" (Baudanivia 1992 Book II, 16, Fortunatus 1992: 37) إنها هبة الروح القدس له في قلب كل مؤمن أرضًا مقدّسة يلتقي فيها الله والإنسان" (الملوحي 2004: 86) إضافةً إلى امتلاكها مجموعةً من الآثار والذّخائر المقدّسة، ومنها قطعةً من الصّليب الحقيقيّ.

(19) فابيولا (ت399م) سيّدة رومانيّة من النّبلاء، صديقةً مقربةً للقديس (جيروم) الذي كان يُبني دائمًا على تواضعها وإيمانها العميق، تزوّجت مرّتين. كتب (جيروم) سيرتها الذاتيّة ووصفها بالعفة والطّهارة، وكان يرفض أيّ انتقاد لشخصها، وكان يمدح علمها وثقافتها واهتمامها بدراسة حياة القديسين وكتاب العهد القديم. أمضت آخر ثلاث سنوات من حياتها في الأعمال الخيريّة. تُوفّيَت عام (399م) في روما وهي لا تملك قوت يومها.

(20) ريدجوند (519-587م)، أميرةً مملكة (ثورينغن) Thuringia/الألمانيّة، تزوّجت الملك (كلوثر) Chlothar/ملك الفرنجة عام (531م) بعد أن وقعت أسيرةً لديه. استطاعت الهرب منه وأقامت في دير (بواتيه) الفرنسيّ إلى أن تُوفّيَت عام (587م). سيرّة حياة هذه الملكة كتبها اثنان: الشّاعر (فينانتوس فورتيوناتس) Venantius Fortunatus، وصديقها المقرّب الزّاهبة (بودونيفيا) Baudonivia).

وكان هدفها من اقتناء الآثار الدينية المقدسة طلب المغفرة، والتوبة من الخطايا والذنوب، فهي بمثابة الخلاص الديني لها ولأتباعها من الرهبانيات. (Williams 2015: 56, Hahn 2006 vol. 22: 268-270)

من الواضح من ممارسات هؤلاء النساء أنهن رغبين بالنبات الروحي والوصول إلى قمة الزهد والإيمان المقدس، فالعمق الديني هو الذي ميّز هؤلاء المتديّنات القديسات عن غيرهن، والحج لم يكن هدفهن الأوحّد بل ما وراءه؛ لقد كنّ مثالا للألم الروحية في رعايتهن الرهبانيات والعدراوات من النساء والمحتاجين والأيتام والفقراء؛ لقد كرّسن أنفسهن من أجل المجتمع والتعليم ونشر المسيحية في أرجاء الأراضي المقدسة.

بناءً على نمط حياة هؤلاء النساء الزاهدات المتديّنات، كان لهنّ مجموعة من القوانين والقواعد الخاصة في داخل الأديرة؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، كانت الحاجة (باولا) تهتم بأداء الصلاة، ودراسة الكتاب المقدس، والعمل اليدوي مثل الخياطة لإعالة نفسها والرهبانيات أيضاً مادياً ولتعليمهن الصبر، ومن القوانين التي فرضتها باولا في داخل الدير "فصل النساء عن الرجال، وحتى الخصيان من الفتيان، حتى لا تكون عرضة للانتقاد من قبل آباء الكنيسة" (Williams 2015: 43)؛ وهذا ما يُعرف بمصطلح "أحادية الجنس"؛ إنّه القانون الذي فرضته (باولا) وغيرها من المؤمنات التائبات في تشكيل المجتمعات الدينية الرهبانية للنساء، حيث طُبّقته في إدارة الأديرة التابعة لهنّ، ولمدة طويلة. (Bennett 2013: 432).

أما الحاجة (ميلانيا الكبرى)، ففي أثناء مكوثها في القدس لمدة سبعة وعشرين عاماً كان اهتمامها منصباً على عدّة أمور؛ منها تعليم الرهبانيات مزايا الإيمان الروحاني والتأمل الديني، والحفاظ على فضيلة العفة والعزوبة، والبعد عن الانحراف والملذات الدنيوية. وعندما كانت على فراش الموت أوصت الرهبانيات بالاستمرار في قراءة الكتاب المقدس ودراسته والإخلاص لأسقف الكنيسة في تعليماته كلها. (Gerontius 1984: 65).

### المؤسسات الدينية والاجتماعية التي أنشأها

كانت مكانة المرأة محفوظة في المسيحية عبر القرون، "ولا شك أنّ الكتاب المقدس اهتم بالدور النسائي، وبرزت شخصيات نسائية كثيرة، ولقد ازدانت الكنيسة في عصر الرسل بخدمة كثير من النساء، واستمرّ عطاء المرأة بدورها المتكامل في خدمة الكنيسة؛ جاهدن بتواضعهنّ وصمتهنّ وطاعتهنّ وأمومتهمّ ونسكهنّ، يسلكنّ بابتهاج ويعملنّ حسب التعليم الإلهي، ويتقدّرن المريضات والغائبات ويساعدن في أعمال النساء وتعليم المواعظ، وشهدت بيوت الإيواء والأعمال التربوية والجمعيات الخيرية خدمات نسائية كثيرة ودوراً وظيفياً في العمل الروحي". (جورج ج 25: 6-13).

يتضح من الفقرة السابقة الدور الذي لعبته هؤلاء المتديّنات في عهد المسيحية المبكرة عندما تبرّعن بكل ما يملكن من أموال وأراضي وممتلكات أخرى من أجل مساعدة المجتمع، خصوصاً مجتمع النساء، في الجانبين الغربي والشرقي من الإمبراطورية البيزنطية على حدّ سواء، وكان ذلك ببناء المؤسسات الدينية كالأديرة، والاجتماعية كاستراحات الحجاج ودور رعاية الأيتام وكبار السنّ، والصحية كالمستشفيات والمستوصفات. وكان جبل الزيتون في القدس وجهتهن الأولى، لأنه الأمر الرئيسي للزينة المسيحية المتعلقة بالنساء. (Dietz 2005: 109).

إنّ نساء الطبقة الأرستقراطية قد أترنن في حياة الكثيرات من الفتيات العذراوات والأرامل الثريات ونساء الطبقة

الوسطى والفقيرة، بتشجيعهنّ على الانضمام للدير، وهذا ما قامت به (مارسيلا/Marcella)<sup>(21)</sup> (Wace 1999: 1093-1094) التي حولت منزلها الفخم في روما إلى مجتمعٍ نسائيٍّ للراهبات، وكان يسكنه الأراملُ الثّرياتُ ذواتُ النفوذ والسلطة والمال، القادراتُ على التّبرّع بأموالهنّ للأعمال الخيريّة وللكنيسة أيضًا، (Theis, 2014:75) وقد انتقلت إلى ضواحي روما حيث تملك مزرعةً كبيرةً حولتها إلى ديرٍ كبيرٍ يضمّ الكثيرات من النساء الرّاهبات في العزلة والتّدين والانضمام إلى مجتمع الرّاهبات. (Brown 2012:262-265) وكانت أولَ معلّمةٍ تدرّب النساء على مهنة التّمرّض في منزلها. (Bunker and Kowalski 2008: 2)

بدأت مجتمعاتُ الرّهبة تنتشر وتتوسّع في أنحاء الغرب اللّاتيني، وكانت عبارةً عن مؤسّساتٍ دينيّةٍ قامت على إنشائها نساء الطبقة الأرستقراطيّة القادراتُ على الاعتماد على أنفسهنّ نظرًا لثروتهنّ، (Williams 2015: 21-22) ومع مرور الوقت وجدنّ أنفسهنّ أمام حياةٍ مختلفة؛ فقد كان عليهنّ ارتداء ملابسٍ من الصّوف وغطاءٍ للرأس وعدم ارتداء المجوهرات وتمشيط الشعر؛ "هذا التّغيير الذي كان يُنادي به القديس (جيروم) يلائم حياة المجتمعات المسيحيّة المتديّنة، وعليهنّ اتّباعه" (Jerome 1933, Ep. 22:111, Ep. 38:163).

فضلت القديسة (مارسيلا) البقاء في روما مع والدتها على القيام برحلة الحجّ إلى الأراضي المقدّسة، بينما سافرت العديّد من النساء الثّريات إلى القدس من أجل المسيح والمسيحيّة والبحث عن "الحريّة في الزهد Ascetic Freedom"، بسبب القيود العائليّة التي كانت تُحمّ على المرأة الأرملة الشّابة الرّواج مرّةً أخرى، فكان لا بدّ من كسر هذه القيود والتّوجّه إلى الحجّ والتّبرّع بالمال لإنشاء الأديرة والمؤسّسات الخيريّة واستراحات الصّيوف والحجاج. (Clark 1986: 184)

ومن أوائل السّيّدات اللّواتي كسرن هذا التّقليد الحاجّة (باولا) و(ميلانيا الكبرى)، فالأولى من السّيّدات اللّواتي كان لهنّ أثرٌ واضحٌ في الأراضي المقدّسة ببنائهنّ ديريّن في بيت لحم عام 386م: (Jerome 2013: 914) أحدهما كان للراهبات ومقرّ إقامة لها ولابنتها (ايستوشيم)، والآخر كان للرهبان بإشراف القديس (جيروم). (Theis 2014: 77). لقد صمّ ديرُ الرّاهبات فتياتٍ من طبقاتٍ اجتماعيّةٍ مختلفةٍ ومن مدنٍ عديدة، وكانت أغلب الفتيات قد جئن من المقاطعات الغربيّة للإمبراطوريّة لتكريس أنفسهنّ لخدمة المسيح والقديسين؛ لقد نذرن العفة والطّهارة والعزّيّة للانضمام إلى دير (باولا). (Williams 2015: 42)

كان ديرُ (باولا وجيروم) يعجّ بالزوّار والمسافرين، والأديرة في فترة المسيحيّة المبكّرة كانت مُلحقةً بها منازلٌ للضيافة لإقامة الحجّاج والرّحالة؛ مثل دير (باولا وجيروم)، وكانت (باولا) تهتمّ بفصل بيت الضّيافة الخاصّ بالحجاج عن دير الرّاهبات من أجل الحفاظ على مثاليّة الزهد والنّقوى المتعلّقة بالراهبات والعذارى. (Theis 2014: 82) أمّا الحاجّة (ميلانيا الكبرى) التي وصلت إلى القدس عام (372م) قبل (باولا) و(جيروم) فقد نذرت نفسها لخدمة

(21) مارسيلا (325-410م) صديقة القديس (جيروم)، وُلدت في روما لأسرة ثرية، والدتها القديسة (أليينا /Alpena) التي تهربت على يد الرّاهب المصريّ (بطرس) (Paul) عام (343م). تزوجت وهي صغيرة السنّ ثمّ توفي زوجها بعد ثمانية أشهر، وقد رفضت الرّواج مرّةً أخرى. ورثت الكثير من المال من والدها وزوجها وعاشت مع والدتها في (فيلتها) التي حولتها إلى دير للراهبات المؤمنات. تعلّمت على يد القديس (جيروم) قراءة الإنجيل، وكان يطمح أن تسافر إلى القدس لكنّها فضلت البقاء في روما. كانت مؤمنة تقيّة، وقد تبرّعت قبل وفاتها بكلّ ما تملكه من ثروة للفقراء والمحتاجين. من المعروف عن (مارسيلا) أنّها كانت تصوم باعتدال ولا تأكل اللحم، إضافةً إلى رغبتها القويّة في التّعزّف على الإنجيل والتّعمّق في نصوصه.

المسيح؛ لقد أنفقت ثروتها من أجل الكنائس والأديرة في الأراضي المقدسة، وفي أثناء وجودها ساعدت الكثيرين من الفقراء والمحتاجين، وأعطت النقود للمدنيين والعبيد. (Wilkinson 2012: 160-184).

لقد استفاد الكثير من الناس من أعمالها الصالحة، وقامت ببناء ديرين في جبل الزيتون، وكان يقيم في أحدهما خمسون راهبة عذراء، إضافة إلى بنائها ديورا في القدس للعداري، وكانت تستضيف مع صديقها (روفينوس/Rufinus)<sup>(22)</sup> الناس القادمين إلى القدس للإيفاء بندورهم، والأساقفة والنساء اللواتي قدمن من الغرب للالتحاق بحياة الرهبنة، فمزلها لم يكن يهدأ من الزور والمسافرين. (William 2015: 42).

استمرت (ميلانيا الكبرى) بعملها وممارساتها الدينية بدون كلل أو ملل، وكانت تتفق من مالها الخاص في إدارتها للأديرة التابعة لها. وتذكر المراجع القبطية أنها قامت على خدمة اثني عشر أسقفًا وكاهنًا - كانوا قد نُفوا من قبل والي مصر إلى فلسطين - على نفقتها الخاصة، حيث كانت تُزودهم بكل احتياجاتهم اليومية، ولساعات متأخرة من الليل. (جورج د.ت ج25: 228-230).

أما (فابيولا) الأرملة التي باع كل ممتلكاتها وبدأت حياة الزهد والتقوى في روما، فقد تبرعت لدعم الأديرة في أنحاء إيطاليا، لكن روما لم تُشبع رغبتها بحياة دينية مقدسة، فاتجهت وبدون إنذار سابق إلى القدس إلى أرض الإنجيل، (Jerome 1933 EP77:327) فهي من النساء المسيحيات المقدرات مادياً، وقد بنت مستشفى في روما سنة (390م) لعلاج المرضى ومداوة الجرحى والقيام على خدمتهم بيديها، وكانت تحمل المُشردين والفقراء من الشوارع على كتفيها من أجل تأمينهم بالرعاية الصحية والمأوى والمأكل. (كلارك د.ت: 147-148).

في العام (395م) وصلت (فابيولا) إلى القدس بصحبة صديقها (أوشينوس/ Eceanus) لدراسة الكتاب المقدس والتعمق في نصوصه، ولقد أثارت إعجاب القديس (جيروم). (William 2015: 32).

أقامت في بيت لحم فترة وجيزة لرغبتها في بناء دير للراهبات في مدينة القدس واستراحة للمسافرين مشابهة لاستراحتها في روما. (Theis 2014, 78) الحاجبة (فابيولا) التي قال عنها القديس (بولس الرسول): " (St. Paul): إن كان رجائنا في المسيح من هذه الحياة فقط، فنحن أشقى الناس أجمعين، وهكذا كانت هذه القديسة التائبة تضع أمام عينها البيت الأبدي الذي ستذهب إليه، كما كان رجائها في المسيح في هذه الحياة وفي الحياة الأبدية أيضاً. لقد أدرخت ثروتها هناك ليكون لها كنز عظيم في السماء. لم تفرح بملذات الأرض ولم تمتع جسدها، وإنما أدرخت كل ذلك لهذا اليوم العظيم يوم الرحيل". (الأورشليمي 2010 ج1: 220-221).

كل حاجة من هؤلاء النساء لها قصة إيمان وتقوى مع روح المسيح ونصوص الإنجيل والرهبان والقديسين والمواقع والأماكن الدينية المقدسة. إنها رحلة حج نادرة، انطبق هذا الحال على قصة (ميلانيا الصغرى) التي وصلت إلى مدينة (طاغست) الجزائرية وأنشأت هناك ديورا للنساء وأخر للرجال، فالأول كان سكناً لـ(130) راهبة، والثاني لـ(24) راهباً، وقد

(22) القديس روفينوس (344-410م) (Rufinus)، وُلد في إيطاليا عام 344م، سافر إلى الشرق سنة 371م، وزار مصر ومكث فيها ست سنوات، ثم توجه في عام 397م إلى القدس. ترجم العديد من كُتب اللاهوت اليونانية إلى اللاتينية؛ مثل كتاب "المعارف" للقديس إكلمنس (كليمان الإسكندري) (150-215م) (Clement of Alexandria)، وبعض كُتب القديس (باسيليوس) (330-379م) (Basil of Caesarea)، وكتاب التاريخ الكنسي لـ(يوسابيوس القيصري) (265-339م). (Eusebius of Caesarea). من أشهر كتبه كتاب (تاريخ الرهبنة في مصر). أنظر: الأورشليمي، يسطس (2010م)، المسيحية في الأراضي المقدسة الخمسة قرون الأولى، ج1، ص 203-204.

أرادت من بناء هذين الديرين أن يُخلد اسمها واسم زوجها في الجنة وفي الأرض أيضًا؛ فالكنز الحقيقي هو الفوز بالجنة بالنسبة لأصحاب المال والثروة. (Alciati 2010: 434). "هي أول من أنشأ ما يُعرف بـ"مؤسسة الأديرة" التي تعتمد على جمع التبرعات من الأثرياء والحجاج والرّحالة لضمان استمرارها في عملها، وفي المقابل تُصبح الحاجّة (ميلانيا الصغرى) وزوجها ملاك هذه الأديرة مع الاحتفاظ ببعض المال من أجل معيشتهم. (Alciati 2010: 434-435). إن هذا النظام أوجد ما يُعرف بـ"الملكيّة الخاصّة"<sup>(23)</sup> (Thomas 1987: 53-55).

وفي أثناء إقامتها في الجزائر سافرت مع زوجها (بنين) إلى مصر، فزارت هناك صومعات الرهبان الذين استقبلوها بحرارة نظرًا لشهرتها وشهرة جدتها من قبل، وقد أنشأت هناك ديرًا للرهبان وآخر للزاهبات (Gerontius 1984: 19-22). وفي العام (417م) وصلت إلى القدس مع زوجها، وكان جبل الزيتون وجهتها الأولى لكثرة الكنائس والأديرة فيه. ولأنّ جبل الزيتون موقع صلب المسيح، كان وجهة المسيحيين والحجاج القادمين من الغرب إلى القدس. (Alciati 2010: 435-436, Gerontius 1984: 115)

كان هدف (ميلانيا الصغرى) تأسيس مجتمعات للرهبنة خاصّة بالنساء في القدس، فبعد وفاة زوجها في العام (432م) قامت ببناء دير للنساء ألحقت به ضريحًا داخليًا يحتوي على رفاة أربعين شهيدًا قديمًا. وفيما بين عامي (435م - 436م) عثرت على دير للرهبان في القدس وأعدت إعمارًا مرة أخرى. (Alciati 2010: 435-436) وفي أثناء إقامتها في صومعتها الصغرى التابعة لدير الزاهبات في جبل الزيتون، انضمت إليها تسعون فتاة عذراء كان محظورًا عليهنّ التحدّث مع الرجال، وقامت بحفر بئر حول الدير لمنعهنّ من الخروج منه. (الأورشليمي 2010 ج1: 250).

وإضافة لبنائها كنيسة وكنيسة صغيرة في جبل الزيتون من مالها الخاص، (Theis 2014: 49) توجّهت قبل وفاتها بثلاث سنوات إلى القسطنطينية لإقناع عمّا (فولوسيان / Volasian) باعتناق المسيحية، وقد استقبلت هناك استقبال الأبطال وليس بوصفها شخصيّة عامّة بل قديسة زاهدة متديّنة عاشت في جبل الزيتون لمدة عشرين عامًا. (Hunt 1984: 221).

شهد منتصف القرن الخامس الميلاديّ تزايدًا ملحوظًا في الحجّ إلى القدس "إنها فترة توسع ملحوظ في أعمال البناء والإعمار في القدس وحولها (Driscoll 2000: 455) "عندما سافرت الإمبراطورة (يودوكيا / Eudocia)<sup>(24)</sup> (Theis 2014: 85-96, Plant 2004: 206) بعد الإمبراطورة (هيلينا) والدة الإمبراطور (قسطنطين) إلى الأراضي المقدّسة ما بين عامي (438-439م) لإعلاء شأنها بوصفها إمبراطورة كرّست حياتها لخدمة المسيح، ولتحدّي شقيقة

(23) الملكية الخاصّة هي: إذا عثر شخص ما مقتدر مادّيًا على دير أو كنيسة أو قام ببناء مؤسسة دينيّة أو خيريّة على نفقته الخاصّة، تصبّح له باسمه بعيدًا عن سلطة الدولة والكنيسة. وعليه؛ فله أن يتصرّف فيها بيعًا وشراء ما دام قادرًا على إدارتها وتحمل كلفتها مادّيًا، إضافة إلى منحه صلاحية تعيين أعضاء معه لإدارتها وتعيين من يخلّفه في إدارتها بعد وفاته.

(24) يودوكيا (400-460م) زوجة الإمبراطور (نيودوسيوس الثاني / Theodosius II)، وُلدت في مدينة أثينا عام 400م، والدها كان فيلسوفًا وكان الناس يأتون إليه من كل مكان لغرض التعلم، تمتعت بجمال باهر وثقافة عالية، وكانت شاعرة وأديبة ذات تأثير واضح في البلاط الملكي، وكثيرًا ما تصف نفسها بأنّها "خادمة المسيح". أمضت حياتها متنقّلة ما بين القسطنطينية والقدس، إلى أن استقرت في القدس، ودفنت عام (460م) في كنيسة (سان ستيفان / St. Stephan) التي بنتها- على نفقتها الخاصّة- بجانب عظام القديس (ستيفان) وبقياء آثار القديسة (ميلانيا الكبرى).

زوجها الإمبراطور (ثيودوسيوس الثاني / Theodosius II) (401-450م) تحدياً صارخاً كما ذكر بعض المؤرخين؛ الأميرة (بوليشاريا/ Pulcheria) التي أعلنت عذريتها وإيمانها بالمسيح وقامت ببناء الكنائس والأديرة في القسطنطينية؛ وهو ما جعل (يودوكيا) تنافسها في هذا المجال؛ إنه صراعٌ دينيٌّ سياسيٌّ في المقام الأول، (Theis 2014: 67-69) (86)؛ اختارت مدينة القدس مقراً نهائياً لها بعد خروجها من البلاط الإمبراطوري لأسباب مجهولة. كانت الإمبراطورة (يودوكيا) راعيةً لمدينة القدس والكثير من المباني الدينية والمؤسسات الخيرية هناك؛ لقد أعادت إعمار مدينة القدس ووسعت مساحتها ببنائها سوراً جديداً للمدينة". (Peters 1985: 161) كانت من أعظم البنائين في تاريخ الأراضي المقدسة (Hirschfeld 1990: 292)

إن حج (يودوكيا) للقدس أخذ طابعاً إمبراطورياً بصفة دينية، وكان هذا واضحاً من تبرعاتها المالية لإعمار وبناء الكنائس هناك (Theis 2014: 86)، ومن أهم إنجازاتها في القدس بناء دور رعاية لكبار السن وملاجئ للأيتام والفقراء والمحتاجين، إضافةً إلى اهتمامها بإعادة إعمار الآثار المقدسة مثل أضرحة الشهداء والقديسين لأهميتها لعامة الناس والحجاج الباحثين عن بركة هؤلاء القديسين برؤية آثارهم ولمسها. (Hunt 1984: 229, 238) وإضافةً إلى بنائها كنيسةً للقديس (ستيغان ت. 257م) (St. Stephen) في القدس قامت أيضاً ببناء كنيسة له في غزة لعثورها على آثار لقدميه في مكان صلب المسيح (Hunt 1984: 223, 233)، ومن أعمالها في فلسطين أيضاً تشييد منزل للفقراء، وعيّن طبيباً ليقوم على رعايتهم صحياً، وافتتحت مستشفى لعلاج المرضى وتقديم الرعاية الصحية للزهبان المسافرين إلى القدس، (Alan 2012: 95, 118) إضافةً إلى ترميمها عدداً من المباني المنتشرة في فلسطين؛ مثل استراحات الحجاج وملاجئ الفقراء والمحتاجين وبعض مراكز رعاية كبار السن وميتم للأطفال. (Alan 2012:112).

إن إنجازات هؤلاء النساء المتدينات ساعدت غيرهن من النساء اللواتي تخلين عن ثروتهن وطبقاتهن الاجتماعية من أجل التوبة والبحث عن ملاذ آمن. وقد ذكر ذلك الشاعر (فينانتوس فورتون / Venantius Fortunatus)، وهو من شعراء القرن السادس الميلادي، (De Nie 1995: 101-161) عندما وصف كل واحدةٍ منهن وعملها المقدس في الأراضي المقدسة، ليظل ذلك حاضرًا خالداً في ذاكرة الناس على مدى العصور؛ مثل: (باولا)، و(مارسيلا)، و(ايسنوشيم)، و(فابيولا)، و(ميلانيا الكبرى)، و(ميلانيا الصغرى)، و(ريدجوند) (التي وصفها بأنها "عروس المسيح". وغيرهن؛ لقد كُنَّ مثالا في التدين والتقاني والإخلاص والتواضع في معاملة الآخرين، إضافةً إلى قدرتهن على إحداث المعجزات في حياة الناس، فهن نموذج للمرأة المسيحية المتدينة القديسة، وكان على النساء السير على خطاهن. (Williams 2015: 52)

## الخاتمة

توصل الباحثان من خلال بحثهما هذا إلى ما يأتي:

1. اقتصر مفهوم حج الزاهدات التائبات على الطبقة الثرية من نساء روما اللواتي نذرن أنفسهن لخدمة المسيح والمسيحية.
2. ازدهر حج النساء التائبات ما بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين.
3. كان الحج لهن بداية حياة جديدة مليئة بالزهد والتقوى والإيمان، بعيداً عن حياة البذخ والثروة في روما.
4. اختلفت حالاتهن الاجتماعية ما بين أرملة ومتزوجة وعذراء، ومع ذلك تمكّن من إعالة أنفسهن من أموالهن الخاصة دون اللجوء إلى أحد، والسفر من دون مرافق.

5. بعن ممتلكاتهنّ من أجل بناء الأديرة والكنائس في الأراضي المقدّسة، وقد كان سجلّهنّ التاريخي حافلًا بإنجازاتهم هناك.
6. ارتبطت أسماؤهنّ ببناء مراكز اجتماعيّة؛ مثل دور رعاية المسنّين والأيتام، ومستشفيات ومستوصفات علاج المرضى، واستراحات قوافل الحجّاج والرّحالة على طول طريق الحجّ.
7. لم تكن الأديرة مكانًا لإقامة الرّاهبات والرّهبان فقط، بل ملجأ للحجّاج والمسافرين والفقراء؛ إنّها الأمان الذي يحمي الجميع.
8. كانت المرأة الأرستقراطية في ذلك العهد أمام خيارين إذا تُوفّي زوجها: إمّا الزّواج من رجلٍ قادرٍ على إعالتها، وإمّا الانضمام إلى ديرٍ للرّاهبات.
9. وضعت قوانين خاصّة بهنّ بعيدًا عن الكنيسة لإدارة الأديرة.
10. كانت نظرة أثرياء روما من الرّجال للحجّ مختلفة عن هؤلاء السيّدات، فقد فضّلوا عدم بيع ممتلكاتهم في روما والإبقاء عليها وإدارتها، والتبرّع بالمال للمؤسّسات الدنيّة والخيريّة مع القيام برحلة الحجّ للأراضي المقدّسة.

## The Pilgrimage of Wealthy Pious Christian Women from Rome to the Holy Land in the Fourth to Sixth Centuries AD.

*Heba Farouk Haroun<sup>1</sup>, Salameh Saleh Naimat<sup>2</sup>*

### ABSTRACT

This study examines the pilgrimage of Christian women ascetics in the early Christian period from the fourth to sixth centuries AD, focusing on wealthy Roman women who were influenced by the Church Fathers, such as Jerome and left their world, freedom, family and social class. They sold their properties in order to come to the Holy Land (the Land of the Bible) to visit the holy places and the desert hermits and to build monasteries, hospitals, hospices, orphanages and accommodations for old people through the Holy Land.

The pilgrimage of women ascetics was a characteristic feature of the period. In spite of the difficult journey, these ascetic women came to fulfill their religious and spiritual needs. These women have been remembered throughout the ages for their faith, piety, tenderness, purity and devotion and have served as role models for women after them.

This study examines the concept of pilgrimage in Christianity and the pilgrimage of the women ascetics and their religious and social accomplishments in the Holy Land.

**Keywords:** *Pilgrimage in Christianity, Female Ascetics, Daily Religious Practices, Religious and Social Foundations.*

---

1 Corresponding Author: email, [heba.haroun1970@gmail.com](mailto:heba.haroun1970@gmail.com), (H. F. Haroun) Orcid number: <https://orcid.org/0000-0003-4729-3421>, Department of History, Faculty of Art, The University of Jordan.

2 Second Author: email, [snaimat@ju.edu.jo](mailto:snaimat@ju.edu.jo), (S. Naimat ) Department of History, Faculty of Art, The University of Jordan.

Received on 9/12/2020 and accepted for publication on 14/2/2021.

## المصادر والمراجع العربية

## القرآن الكريم

- أثناسيوس، فهمي (2000)؛ حياة وفكر تنمية الآباء، الموسوعة الأبائية، ج. 1، القاهرة: دار الكتاب المسيحي.
- الأورشليمي، يسطس (2010)؛ المسيحيّة في الأراضي المقدّسة الخمسة قرون الأولى، ج. 1، دن، ط. 1.
- البابا فرنسيس في رسالته الرسولية الخاصة ببوييل الرحمة الإلهية، رقم 2 (2015)
- البابا فرنسيس في رسالته الرسولية الخاصة ببوييل الرحمة الإلهية، رقم 14 (2015)
- الباش، حسن (2001)؛ العقيدة النصرانيّة بين القرآن والأناجيل، مقارنة الأديان، ج. 2، دمشق: دار قتيبة.
- البستاني، بطرس (د.ت)؛ دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، مج. 6، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- بطيريكية الروم الأورشليمية (2006)؛ القدس، فلسطين. <https://www.jerusalem-patriarchate.info>
- جورج، أنطون فهمي (1993)؛ الآباء المؤرّخون، الإسكندرية: كنيسة مارمرقس والبابا بطرس.
- جورج، أنطون فهمي (د.ت)؛ أمهات قديسات، فردوس العذاري الحكيمات، سلسلة آباء الكنيسة، سلسلة إكثوس، ج. 25، القاهرة.
- الحمد، محمد عبد الحميد (2004)؛ الرّهينة والتّصوّف في المسيحيّة والإسلام، الرقة: وزارة الإعلام.
- الدومنيكي، لكرانج (1928)؛ إنجيل يسوع المسيح، تعريب لكرانج، ماري يوسف، طبع بإذن الرؤساء، القدس، فلسطين.
- رانسيما، سيقن (1998)؛ الحملات الصليبيّة من كليرمونت إلى أورشليم، ترجمة نور الدين خليل، ج. 1، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط. 2.
- رزق، جانيث (2018)؛ "الحجّ الرّوحّي والرّحمة المنشودة في السنّة اليوبليّة". "مجلة المشرق الرّقميّة"، ع. 8، لبنان.
- الزبيدي، المرتضى) ت 1205هـ/1790 (2005)؛ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، ج. 3، بيروت: دار الفكر، ط. 1.
- سابق، السيّد (د.ت)؛ فقه السنّة، بيروت: دار الكتاب العربي، ط. 1.
- سعيد، إبراهيم محمود (2007)؛ حركة الحجّ الأوروبي إلى الأماكن المقدّسة في الشرق الأدنى القديم (1291-1517م) (690-923 هـ)، ج. 1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عادل، مايكل وآخرون (2018)؛ "أسرار" الحجّ المسيحي: "ليس فريضة لا يغفر الخطايا وللتبرك فقط." صحيفة التّستور الإلكترونيّة، القاهرة، الثّلاثاء، 24/ يوليو.
- العارضي، وجدان (2017)؛ إمارة الحجّ في الدّولة العربيّة الإسلاميّة، 132-8 هـ/ 629 - 750 م، عمان: دار أمجد للنشر والتّوزيع.
- العلي، صالح (1981)؛ محاضرات في تاريخ العرب، الموصل: مؤسسة الكتب للطباعة والنّشر.
- فروجي، بشارة (1930)؛ حياة سيننا يسوع المسيح أو الأربعة الأناجيل، القدس: مطبعة الأرض المقدّسة.
- كلارك، إليزابيث (د.ت)؛ الآباء والمرأة، سلسلة رسائل آباء الكنيسة، ترجمة دار الثقافة، القاهرة: مطبعة سويس، ط. 1.
- ليكليز، جاك (1963)؛ دعوة المسيحي، نقله عن الفرنسيّة ج. عقيقي اليسوعي، القاهرة.
- ملوف، لويس (2010)؛ المنجد في اللّغة، بيروت: المطبعة الكاثولوكيّة، ط. 19.
- الملوحي، مظهر، وآخرون (2004)؛ قراءة صوفيّة لإنجيل يوحنا، لبنان: بيسان للنشر والتّوزيع، ط. 1.
- هوايت، إيفيلين (2017)؛ تاريخ الأديرة القبطيّة في الصّحراء الغربيّة، مع دراسة للمعالم الأثريّة المعماريّة لأديرة وادي النّطرون منذ القرن الرّابع الميلاديّ إلى النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر الميلاديّ، تعريب الأب بولا ساويرس، مشروع الكنوز القبطيّة، القاهرة، ط. 2.

## REFERENCES

- Holy Qur'an.
- Athanāsiyūs, Fahmī (2000); *Ḥayāt wa-Fikr Tanmīyat al-Ābā'*, *al-Mawsū'ah al-Abā'iyah*, Vol. 1, Cairo: Dār al-Kitāb al-Masīhī.
- al-Urshalīmī, Yustus (2010); *al-Masīhīyah fī al-Arādī al-Muqaddasah, al-Khamsat Qurūn al-Ūlā*, Vol. 1, (no publisher), 1<sup>st</sup> ed.
- 'Adil, Michael, et al. (2018); Asrār al-Ḥajj al-Masīhī: Laysa Farīdah lā Yaghfir al-Khatāyā wa-lil-Tabaruk Faḡaḡ. *Saḥīfat al-Dustūr* (on-line edition), Cairo, Tuesday, 24 July.
- Alciati, Roberto and Giorda, Mariachiarra (2010); "Possessions and Asceticism: Melania the Younger and her Slow way to Jerusalem". *Zeitschrift Fur Antikes Christentums*, (ZAC), Vol. 14: 425—444.
- al-'Alī, Ṣāliḥ (1981); *Muḥāḍarāt fī Tarīkh al-'Arab*, al-Mosul: Mu'assasat al-Kutub lil-Ṭabā'ah wa-al-Nāshir.
- Anderson, Mark Alan (2012); *Hospitals, Hospices and Shelters for the Poor in Late Antiquity*, Ph. D. Dissertation, Yale University.
- al-'Āridī, Wijdān (2017); *Imārat al-Ḥajj fī al-Dawlah al-'Arabīyah al-Islāmīyah*, 8-132H/ 629-750 AD., Amman: Dār Amjād.
- al-Bāsh, Ḥasan (2001); *al-'Aqīdah al-Naṣrānīyah Bayna al-Qur'ān wa-al-Injīl*, Vol. 2, Damascus: Dār Qutaybah.
- Baudonivia (1992); "The Life of the Holy Radegund". in *Sainted Women of the Dark Ages*, Joanne, Mcnamara, John E. Halborg, and E. Gordon Whatley eds., Durham, NC: Duke University Press.
- Bennett, Judith and Karras, Ruth (2013); *The Oxford Handbook of Women and Gender in Medieval Europe*, Oxford: Oxford University Press.
- Bralewski, Slawomir (2017); "The Pious Life of Empress Helena, Constantine the Great's Mother, in the Light of Socrates of Constantinople and Sozomen". *Studia Ceranea* 7: 27-39.
- Brown, Peter (2012); *Through the Eye of A Needle. Wealth, The Fall of Rome and the Making of Christianity in the West, 350-550 AD.*, Princeton: Princeton University Press.
- Brubaker, Leslie (1997); "Memories of Helena, Patterns in Imperial Female Matronage in the Fourth and Fifth Centuries. In: *Women, Men and Eunuchs. Gender in Byzantium*, London and New York: Routledge: 52-75.
- Bunker, Caroline and Kowalski, Mary T. (2008); *Textbook of Basic Nursing*, Wolters Kluwer Health. Philadelphia: Lippincott Williams & Wilkins, 9<sup>th</sup> ed..
- al-Bustānī, Buṭrus (no date); *Dā'irat al-Ma'ārif: Qāmūs 'āmm li-kull fann wa-maṭlab*, Vol. 6, Beirut: Dār al-Ma'ārif.
- Chareyron, Nicole (2005); *Pilgrims to Jerusalem in the Middle Ages*, Translated by Donald Wilson, New York: Columbia University Press.
- Clark, Elizabeth (1986); Ascetic Renunciation and Feminine Advancement. A Paradox of Late Antique Christianity. P.175-208 In: *Ascetic Piety and Woman's Faith. Essays on Late Ancient Christianity*, Lewiston: Mellen.
- Clark, Elizabeth (no date); *al-Abā' wa-al-Mar'ah*, [Women in the Early Church] Silsilat Rasā'il Abā' al-Kanīсах, Cairo: Dār al-Thaqāfah.
- Cohick, Lynn H. and Hughes, Amy Brown (2017); *Christian Women in the Patristic World: Their Influence, Authority, and Legacy in the Second through Fifth Centuries*, Grand Rapids: Baker.
- Craig, Leigh Ann (2009); *Wandering Women and Holy Matrons: Women as Pilgrims in the Later Middle Ages*, [Studies in Medieval and Reformation Traditions](#) 138, Leiden: Brill.
- De Nie, Giselle (1995); Consciousness Fecund Through God. From Male Fighter to Spiritual Bride-Mother in Late Antique Female Sanctity. In: *Sanctity and Motherhood: Essays on Holy Mothers in the Middle Ages*, Edited by Anneke B Mulder-Bakker, New York: Garland. Pp. 100-161.
- Dietz, Maribel (2005); *Wandering Monks, Virgins and Pilgrims: Ascetic Travel in the*

- Mediterranean World, A.D. 300-800*, College Park: Penn State University Press.
- Driscoll, Michael and Sheridan, Susan Guise (2000); *Every Knee Shall Bend: A Biocultural Reconstruction of Liturgical and Ascetical Prayer in V-VII Century Palestine*. *Worship* 74, pp. 453-468.
- Eusebius (1999); *Life of Constantine, Book III*, Translation and Commentary by Averil Cameron and Stuart G. Hall, Oxford: Clarendon Press.
- Farūjī, Bashārah (1930); *Ḥayāt Sayyidinā Yasū‘ al-Masīḥ aw al-Arba‘at al-Anājīl*, Jerusalem: Maṭba‘at al-Ard al-Muqaddasah.
- Fortunatus, Venantius (1992); Rade Gund, Queen of the Franks and Abbess of Poitiers (ca. 525-587) In: *Sainted Women of the Dark Ages*, Jo Ann McNamara, John E. Halborg and Gordon Whatley trans. and ed., Durham: Duke University Press: 60-105.
- Gerontius (1984); *The Life of Melania the Younger*, Introduction, Translation and Commentary by Elizabeth Clark. Lewiston: Edwin Mellen.
- Glover, Terrot Reavely (1901); *Life and Letters in the Fourth Century*, Cambridge: The University Press.
- Hahn, Cynthia (2006); Collector and Saint: Queen Rade Gund and devotion to the Relic of the True Cross. *Word & Image, A Journal of Verbal/Visual Enquiry* 22.3, July-September, Pp. 268-274.
- Hallett, Judith (2012); Women in Augustan Rome, In: *A Companion to Women in the Ancient World*, Sharon James and Sheila Dillon eds., Chichester: John Wiley: 372-384.
- al-Ḥamad, Muḥammad ‘Abd al-Ḥamīd (2004); *al-Rahbanah wa-al-Taṣawwaf fī al-Masīḥīyah wa-al-Islām*, al-Raqqah: Ministry of Information.
- Hirschfeld, Yizhar (1990); A Church and Water Reservoir Built by Empress Eudocia, *Liber Annus* 40: 287-294.
- Hunt, David (1984); *Holyland Pilgrimage in the Later Roman Empire A D 312-460*, Oxford: Clarendon Press.
- Evelyn-White, Hugh (2017); *Tarīkh al-Adirah al-Qibṭīyah fī al-Ṣaḥrā’ al-Gharbīyah, ma‘a Dirāsah lil-Ma‘ālim al-Atharīyah, al-Mi‘mārīyah li-Adīrat Wādī al-Naṭrūn Mundhu al-Qarn al-Rabi‘ al-Mīlādī, ilā al-Naṣf al-Awwal min al-Qarn al-Tāsi‘ ‘Ashar al-Mīlādī*, Cairo: Mashrū‘ al-Kunūz al-Qibṭīyah, 2<sup>nd</sup> ed.
- Janin, Hunt (2002); *Four Paths to Jerusalem, Jewish Christian, Muslim and Secular Pilgrimage, 1000 BCE to 2001 CE*, Jefferson, NC: McFarland.
- Jerome (1933); *Select Letters*, F.A Wright, trans., Loeb Classical Library 262, Cambridge: Harvard University Press.
- Jerome (2013); *Jerome’s Epitaph on Paula. A Commentary on the Epitaphium Sanctae Paulae*, Andrew Cain ed., Oxford: Oxford University Press.
- Jurj, Antūn Fahmī (1993); *al-Āba’ al-Mu’arrikhīn*, Alexandria: Mar Marqus wa-al-Baba Butrus Church.
- Jurj, Antūn Fahmī (N/A); *Ummahāt Qaddīsāt, Fardūs al-‘Adhārī al-Hakīmāt*, Silsilat Abā’ al-Kanīṣah, Silsilat Ikthūs, Vol. 25, Cairo.
- King, JaShong (2015); *The Rise and Fall of the Late Antique Traveling Woman*. Paper for the Research Methodology Seminar / CLA 5901, Dec. 31, 2015, University of Ottawa.
- Lagrange, Marie-Joseph (1928); *L’Évangile de Jésus-Christ*. Paris: J. Garabalda.
- Le Clercq, Jacques (1963); *Da‘wah al-Masīḥī*, ‘Aqīqī al-Yasū‘ī, tran., Cairo.
- MacDonald, Burton (1989); *Pilgrimage in Early Christian Jordan: A Literary and Archeological Guide*, Oxford: Oxbow.
- Ma‘lūf, Luīs (2010); *Al-Munajjad fī al-Lughah*, 19<sup>th</sup> ed., Beirut: al-Maṭba‘ah al-Kāthūlūkīyah.
- Masters, Peter (2014); The Pilgrim Concept. *The Sword and Trowel* 2014, no. 1. [www.metropolitantabernacle.org](http://www.metropolitantabernacle.org).
- Al-Malūhī, Mazhar, et al. (2004); *Qira‘ah Ṣūfīyah lil-Injīl Yūḥannā*, Beirut: Baysān.
- Palladius (1965); *The Lausiatic History*. Robert Meyer, trans., Ancient Christian Writers 34, Westminster, MD.: Newman.

- SS. Peter and Paul School (2016); Pilgrimage to Shrines: an Eloquent Expression of Faith, Vatican Information Service. 21 January, 2016. [saintspeter-paul.org](http://saintspeter-paul.org).
- Peters, F.E. (1985); *Jerusalem: The Holy City in the Eyes of Chroniclers, Visitors, Pilgrims and Prophets From the Days of Abraham to the Beginning of Modern Times*, Princeton: Princeton University Press.
- Plant, Ian Michael (2004); *Women Writers of Ancient Greece and Rome*, Norman: University of Oklahoma.
- Pope Francis; *Fī Risālatihi al-Rasūliyah al-Khaṣṣah bi-Yūbīl al-Rahmah al-Ilahīyah*, No. 14 (2015).
- Pope Francis; *Fī Risālatihi al-Rasūliyah al-Khaṣṣah bi-Yūbīl al-Rahmah al-Ilahīyah*, No. 2 (2015).
- Pope John Paul II (1999); *Letter of the Supreme Pontiff, John Paul II (1999)*, Concerning Pilgrimage to the Places linked to the History of Salvation, Vatican City: Litteria Editrice.
- Rizq, Janet (2018); “al-Ḥajj al-Rūhī wa-al-Rahmah al-Manshūdah fī al-Sanah al-Yūbīliyah”. *al-Mashriq al-Raqmīyah*, Vol. 8. Online journal: [www.darelmachriq.com/almachreq-online](http://www.darelmachriq.com/almachreq-online)
- Rufinus (1997); *The Church History of Rufinus of Aquileia* Books 10 and 11, Philip Amidon, trans., Oxford: Oxford University Press.
- Roman Catholic Patriarch of Jerusalem (2006); Jerusalem. <https://www.jerusalem-patriarchate.info>
- Runciman, Steven (1998); *al-Ḥamalāt al-Ṣalībīyah min klīrmunt 'ilā 'urshalīm* [A History of the Crusades, vol. 1, Nur al-Dīn Khalil, Vol, 1, Cairo: General Egyptian Book Organization, 1<sup>st</sup> ed.
- Sābiq, al-Sayyid (no date); *Fiqh al-Sunnah*, Vol. 1, Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī.
- Sa‘īd, Ibrāhīm Maḥmūd (2007); *Ḥarakat al-Ḥajj al-Urūbī ilā al-Amākin al-Muqaddasah fī al-Sharq al-Adnā al-Qadīm (1291-1517 M) (690-923 H)*, Vol. 1, Alexandria: Dār al-Ma‘rifah al-Jāmi‘iyah.
- Theis, Lioba, et al. eds. (2014); *Female Founders in Byzantium and Beyond*, Vienna: Böhlau.
- Thomas, John Philip (1987); *Private Religious Foundations in Byzantine Empire*, Washington: Dumbarton Oaks.
- al-Urshalīmī, Yustus (2010); *al-Masīhiyah fī al-Arāḍī al-Muqaddasah, al-Khamsat Qurūn al-Ūlā*, Vol. 1, (no publisher).
- Wace, Henry (1999); *A Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century A.D.*, Peabody, MA: Hendrickson.
- Wilkinson, John (1977); *Jerusalem Pilgrims before the Crusades*, Warminster: Aris & Phillips.
- Wilkinson, John (1981); *Egeria’s Travels to the Holy Land*, Warminster: Aris & Phillips.
- Wilkinson, Kevin (2012); “The Elder Melania’s Missing Decade”. *Journal of Late Antiquity*, Vol. 5, Nu. 1: 166-184.
- Willey, Petroc, Pierre de Cointet and Barbata Morgan (2008); *The Catechism of the Catholic Church and the Craft of Catechesis*, San Francisco: Ignatius Press.
- Williams, Manon (2015); *From the Holy Land to the Cloister: the Decline of Female Ascetic Pilgrimages in Early Medieval West (C. 350-615 AD)*, BA Honors Thesis, University of Colorado.
- al-Zubaydī, al-Murtaḍā (d.1205/1790)(2005); *Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs*, ‘Alī Shīrī ed., Vol. 3, Beirut: Dār al-Fikr, 1<sup>st</sup> ed.